الإمام محمد متولي الشعراوي



جامع البيان في العبا الأحكام

اشراف
فضيلة الشيخ
محمد بن علي السنراوي
المستشار بالأزهر

جمع المادة العلمية
منشاوي غانم جابر

كتب الحواشي وراجعها
إبراهيم ربيع محمد

9

دار الندوة

آدم إلى الأرض[1] .

ثانياً: الناس هم آدم وزوجته وأبناؤه إلى أن تقوم الساعة.

ثالثًا: البيت كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام.

رابعًا: إن آدم لم يضع البيت، ولكنه هبط إلى الأرض ليجد البيت.

وهكذا يرد الحق سبحانه على الخلق بأنه هو الذى أمر الملائكة أن تقيم البيت ليستقبل آدم وأبناءه من بعده، وليصير البيت مثابة للناس جميعاً من أول آدم.

وعندما جاء إبراهيم إلى «المكين» كان يعرف أن هنا أرضًا لبيت وضعه الله للناس ليثوبوا إليه، وبعد أن كَبَرَ إسماعيل قليلاً، تلقى إبراهيم العلم عن الله بمكان البيت الحرام ليقيمه مع إسماعيل.

والقول الفصل هو..

* أن قصة البيت الحرام تبدأ منذ الخطة التى أراد فيها الحق سبحانه أن يجعل فى الأرض خليفة، فقد خلق الله الأرض وقدر أقواتها، وأعد الله لآدم وزوجته بيتًا ليثوب إليه آدم وأبناؤه من بعده ليكونوا فى أمان.

(١) عن أبى ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام».

قال: قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه».

أخرجه البخارى [٣٣٦٦] ومسلم [٥٢٠]

* ثم تلقى نبى الله إبراهيم عن الحق سبحانه العلم بمكان البيت فأقام جدرانه بإتقان هذه المهمة التى كلفه بها الحق. لقد أقام إبراهيم جدران الكعبة على قدر ما تطول يداه، وأراد أن يزيد الرفع لجدران البيت، لذلك أوجد الحجر الذى يقف عليه ليزيد من ارتفاع جدران البيت الحرام.

إذن.. فاتخاذ المقام الذى وقف عليه إبراهيم وهو يبنى، إنما هو دليل على أن إبراهيم عليه السلام لا يؤدى تكليفات الحق أداءً شكلياً بل عن عشق تكليف الرحمن له، فحمل حجراً يبنى به جدران البيت الحرام وهو حجر متوسط الحجم يستطيع أن يحمله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل.

فعندما يرى المسلم الحجر الذى وقف عليه إبراهيم عليه السلام ليعلى جدران البيت فإنه يجد أن ذلك الحجر من ناحية.. الحجم، والوزن فى طاقة الإنسان أن يحمله مع ابنه.

ولقد وجد الناس فى مقام إبراهيم غوراً يشبه القدمين، وليس فيه النتوءات التى توجد فى القدم، وعندما سُئِلْتَ عن عدم وجود لنتوءات قلت:

ـ بالاجتهاد البشرى يمكننا أن نظن أن خليل الرحمن قد حفر هذا القدر فى الحجر ليُثَبِّتَ به قدميه وهو يرفع حجر فوق حجر ليعلو بجدران البيت الحرام.

وهكذا جعل الحق سبحانه هذا المقام.. مقام إبراهيم سمة وآية بيننا لنرى الدليل على عشق التكليف الإلهى: وكأن الحق سبحانه يريد أن يعلم الخلق أن إبراهيم كان بشراً قد عشق التكليف فأتمه وأكمله، ولذلك كان أمر الحق أن نجعل هذا المقام مصلى.

تكليف آخر:

ثم يأتى أمر آخر من الحق سبحانه إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت، رغم أنهما قد أكملا بناءه.. فهل لم يكن المكان طاهراً؟.. فيقول سبحانه:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(١).

وهذا السؤال يدلنا على أن البيت الحرام قبل أن يطهر كانت الناس تذبح فيه الذبائح، وتترك فيه مخلفات الذبح من دم وغير ذلك، ولذلك صدر أمر التكليف.. فلمن يتم تطهير البيت الحرام؟

الحق سبحانه يحدد الفئات التى يتم من أجلها تطهير البيت الحرام وهم:

الفئة الأولى: الطائفون.. أى الذين يطوفون حول البيت.

الفئة الثانية: العاكفون.. وهم المقيمون حول البيت الحرام.

والفئة الثالثة: الركع السجود.. أى المصلون.

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥ ... يذكر الله تعالى فى هذه الآية شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعًا وقدراً من كونه مثابة للناس أى جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضى منه وطراً ـ حاجة ـ ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام فى قوله: ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم** ﴾ (إبراهيم: ٣٧).
ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا من دخله أمن ولو كان فعل ما فعل، ثم دخله كان آمنا.
وقال ابن عباس ﴿ **وإذا جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ أى: لا يقضون منه وطراً ـ حاجة ـ يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه.

(تفسير ابن كثير: ١/ ١٦٨)

ويستطيع الإنسان أن يكون من الفئات الثلاث فى آن واحد حين يحج أو يعتمر فهو..

* **يدخل البيت الحرام طائفا،**

* **ويجلس فيه عاكفا،**

* **ويقيم فيه الصلاة فيصبح من الراكعين الساجدين.**

كأن الحق سبحانه قد أوكل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت هو وابنه إسماعيل لأنه سيكون قِبْلَةً لكل مؤمن يطوف به، أو راكع ساجد فى أى مكان فى الدنيا[١].



(١) قال محمد بن يوسف الصالحي:

«وفي حديث أبي جهم (عند ابن سعد) حلقت السكينة كأنها سحابة على موضع البيت فقالت: ابن عليّ. فلذلك لا يطوف بالبيت أحد أبدا كافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة. فبنى إبراهيم البيت فجعل طوله فى السماء تسعة أذرع وعرضه ثلاثين ذراعا وطوله فى الأرض اثنين وعشرين ذراعا وأدخل الحجر وهو سبعة أذرع فى البيت، وكان قبل ذلك زرْبا لغنم إسماعيل وإنما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفا وجعل له بابين، وحفر له بئرا عند بابه خزانة للبيت يلقى فيها ما يهدى للبيت وجعل الركن علما للناس».

(سبل الهدى والرشاد: ١/ ١٥٥)



الله سبحانه وتعالى يوضح لكل الناس أن البيت الحرام هو البيت الأصيل لله باختيار الله ... أما بيت المقدس فهو بيت الله باختيار خلق الله.

والحق سبحانه يقول فى ذلك :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(١) .

رسول الله محمد ﷺ ينتسب إلى العرب، والعرب ينتسبون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام وهو ابن سيدنا إبراهيم، ويزيد على ذلك الاصطفاء

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

القيمى، والمنهج الكامل الشامل الذى أتى به واتبعه عبد أسود[1] وسيد أبيض[2] فكل منهما من أهل البيت[3] ؟

وإذا كانت الغفلة قد أصابت بعضاً من أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام سواء كانوا من أبناء إسماعيل ، أو أبناء يعقوب فجعل أبناء إسماعيل البيت الحرام لغير الله، فدنسوه بالأصنام والأوثان، لكن الحق سبحانه يرد المسألة إلى أصلها.

لقد أقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وإسماعيل البيت، وكان على المؤمنين برسالة رسول الله ﷺ أن ينفذوا أمر الحق سبحانه إلى إبراهيم ، بأن :

* يطهروا البيت من الأوثان والأصنام،

* ويطهروا البيت للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود .

والبيت تنصرف دائماً إلى البيت الحرام ذلك عندما يقول الحق سبحانه:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة]

(١) العبد الأسود: هو بلال بن رباح رضي الله عنه وهو حبشى مولى أبى بكر الصديق.
قال له النبى ﷺ: «سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة».
أخرجه البخارى [١٤/ ٢٤٨]

(٢) السيد الأبيض: هو سلمان الفارسى.
عبد الحسن مرسلاً عن النبى ﷺ قال: «سلمان سابق فارس».
ضعيف [سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٧٠٣]

(٣) وعن عمرو بن عوف قال: قال النبى ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» هذا الحديث ذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد [٦/ ١٣٠] ومنطق الحديث يدل على أن سلمان منا بإيمانه وإسلامه والمؤمنون أخوة.

إننا نفهم أن البيت هو مكان أعد ليأوى إليه الإنسان، أى هو المكان الذى يعود إليه الإنسان آخر النهار بعد الحركة فى الحياة ليسكن ويبيت.

وبيت الله الحرام هو المكان الذى يستريح فيه كل خلق الله.. كيف، ولماذا؟.. والإجابة: هى أن الإنسان عندما تأتى إليه متاعب جزئية، فإنه يذهب إلى بيته ليستكن.. أى ليطمئن. أما فى المتاعب الكبرى فإن الإنسان لا يسعه إلا بيت ربه، و لذلك يصير البيت الحرام مثابة(١) للناس.. أى يذهب إليه الناس ويرتاحون، ذلك أن المثابة تعنى المرجع، ولذلك فكل من يذهب إلى بيت الله الحرام فإنه..

* تغمره الراحة ،

* ويغمره الإحساس بالأمن لأنه سيذوق حلاوة وجوده فى بيت الله ذلك لأن الذهن لن ينشغل بغير الله.

الإنسان عندما ينظر إلى الكعبة المشرفة(٢) فإن الحزن والهَمّ والضيق يذهب

---

(١) المثابة: الموضع الذى يثاب إليه: أى يرجع إليه مرة بعد أخرى.

(لسان العرب: مادة ثوب)

وقال ابن زيد: يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه.

(تفسير ابن كثير: ١/ ١٦٨)

(٢) **كسوة الكعبة:**

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة، حتى جاء الإسلام فأقر كسوتها. فقد ذكر الواقدى عن إسماعيل عن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال: كُسِىَ البيت فى الجاهلية الأنطاع (وهو ما يفرش على الأرض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر) ثم كساه الرسول ﷺ الثياب اليمانية، وكساه عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان.. القباطىّ (وهو ثوب =

= من ثياب مصر رقيق أبيض لأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر) ثم كساه الحجاج الديباج.

وروى: أن أول من كسى الكعبة هو: «أسعد الحميرى» فكان ابن عمر ﵄ يجلل بدنة القباطى، والأنماط، والحلل ثم يبعث بها إلى الكعبة يكسوها إياها.

وأخرج الواقدى أيضًا عن إسحاق بن أبى عبد بن أبى جعفر محمد بن على قال: كان الناس يهدون إلى الكعبة كسوة، ويهدون إليها البدن عليها الحبرات فيبعث بالحبرات (جمع حبرة وهو ما كان مخططا من البرود من ثياب اليمن) إلى البيت كسوة.

فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج، فلما كان ابن الزبير اتبع أثره، وكان يبعث إلى مصعب بن الزبير، ليبعث بالكسوة كل سنة، فكان يكسوها يوم عاشوراء.

وأخرج سعيد بن منصور أن عمر بن الخطاب ﵁ كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة، فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السمر (نوع من الشجر) بمكة.

(فقه السنة السيد سابق : ٢/١)

وكذلك كساها المأمون، وكساها المتوكل العباسى والناصر العباسى وأخذت الملوك تتداول فى كسوتها إلى أن وقف لها الصالح ابن الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الثامن قرية تسمى «بيسوس» بضواحى مصر فى محافظة القليوبية، وكذا وقفت لها أميرة مصر «شجرة الدر» أوقافاً تعمل منها الكسوة (وكان ذلك زماناً مضى).

(التاج الجامع الأصول: ٢/ ١٨٠)

كنز الكعبة:

كنز الكعبة هو مال مدفون فيها زائد عن حاجتها من هدايا الجاهلية التى كانوا يهدونها للكعبة.

* عن عائشة ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية ـ أو قال بكفر ـ لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الْحِجْرَ.

أخرجه مسلم

* وقال شقيق ﵁ : كنت مع شيبة بن عثمان فقال: قعد عمر فى مقعدك الذى أنت =

من صدره.. إن فى الكعبة لسراً. فإذا ماكنا نتحدى أحزاننا، ونتحدى خواطرنا، ونحس فى بعض الأحيان بالغربة فى بيوتنا، لكن ونحن فى بيت الله، وفى رحاب الكعبة نحس بالأمان المطلق، أتحدى أن يذهب إنسان إلى الكعبة ويشغله حزنه، أو تشغله أمور الدنيا.. إنه لا يفكر فى أى شىء إلا بعد أن يؤدى النسك، بعده يعود الإنسان إلى حياته وذكرياته.. فيعود إلى أهله وبيته وهو مغسول من الذنوب.

لذلك فإن كثيراً من الناس يتمنون من فرط حلاوة الأمان فى البيت الحرام، أن يمكثوا ويظلوا هناك.. ولذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ حريصًا على أن يعود الناس إلى أوطانهم وأولادهم بعد انتهاء مناسك الحج مباشرة فيقول لأهل اليمن وأهل الشام :

ـ إلى يمنكم يا أهل اليمن.

ـ إلى شامكم يا أهل الشام .

ذلك أن الإنسان المؤمن فى شوق دائم إلى البيت الحرام، لأنه مثابة للناس جميعًا، فكلما أصاب الإنسان كرب، أو أصابه هم فإنه يثوب إلى البيت الحرام، ولذلك نجد التعبير القرآنى الكامل الدقة فى هذا الدعاء لسيدنا إبراهيم:

= فيه فقال: لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة قلت: ما أنت بفاعل قال: لِمَ؟ قلت: لأن رسول الله ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر، وهما أحوج منك إلى المال فلم يحركاه فقام فخرج.

رواه أبو داود والبخارى

ولفظه: لقد هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما الْمرْأَن أقتدى بهما.

– الصفراء : الذهب، والبيضاء: الفضة.

(التاج الجامع للأصول : ١/ ١٧٩)

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(١) .

الله سبحانه تعالى يقول : إن أفئدة من الناس تهوى إلى البيت الحرام. والهوى هو الذى يجعل القلب مقرونًا بالشوق إلى البيت الحرام، وكأن النفس البشرية تكاد تسقط من جسد صاحبها من فرط هذا الشوق .. أى الذهاب إلى البيت الحرام.

وكما ذكرنا أن الحج هو الركن الوحيد من أركان الإسلام الذى يسعى الناس ليؤدوه، وإن سقط عنهم التكليف، والمسلم قد يكون فقيراً قليل الدخل قليل الرزق ولكنه يدخر من دخله تكاليف السفر والحج، وهذا المسلم الفقير الذى قد تسقط عنه فريضة الحج، فبعد أن يؤديه نجده يحاول مرة أخرى أن يحج. لذلك من الخير أن نترك الناس يذهبون وقتما يريدون، وأن يطوفوا بالبيت الحرام، وأن يذهبوا عندما تهب عليهم المشاكل.. مشاكل الحياة ليتحقق انفراج همومهم فيعطيهم الله الطاقة والرزق فيقدرون على تحمل مشاكل الحياة، وإن كان الحق سبحانه قد أخبر أن أفئدة الناس هى التى تسقط فى هوى البيت الحرام.

ولقد كان الناس يأْمُونَ إلى البيت الحرام حتى بعد أن تحللوا من ديانة سيدنا إسماعيل عليه السلام ولقد كان العرب وهم على الوثنية تمر بهم أحداث

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

عجيبة.. فمنهم من يرى قاتل أبيه فى الكعبة وحولها فلا يتعرض له بسوء[1]. وإذا ارتكب أحد جناية داخل البيت الحرام، فلا أحد يمسك به ليقتص منه أو ليقيم عليه الحد، لكن ينتظر حتى يخرج ويقيم عليه الحد.. حد الله وذلك خارج بيت الله. فمن ارتكب ذنباً في بيت الله، فالمرتكب للذنب هو منتهك لحرمة البيت لذلك يخرجه الناس منه ويطبق عليه حكم ما ارتكب من ذنب[2].

إذن فمن يدخل بيت الله الحرام يكون آمنا فقد جعل الحق سبحانه بيته أمنا فهو القائل: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ .. فمن يقرأ قول الحق سبحانه فعليه أن يُؤَمّن كل من يدخل البيت فيكون فى أمن وأمان . لذلك ..

* الحق سبحانه أنزل من التشريعات ما يحافظ على كبرياء البشر أمام البشر، ذلك أنه من الجائز الدخول معك فى قتال، ونحن فى داخل أعماقنا كارهون لهذا القتال.. لكن الكبرياء لا يدع لأحد منا أن يطمئن إلى الآخر. وهنا يشرع لنا الحق سبحانه من التشريعات ما يحمى الكبرياء فيحدد البيت الحرام مكاناً لكل من يدخله بأن يكون آمناً.

(١) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يعرض له.
(تفسير ابن كثير: ١/ ١٦٨)

(٢) قال تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.
قال ابن عباس: بظلم هو أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم.
وعن عبد الله قال: ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلاً بعدن أبين (أبعد) همّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم.
(تفسير ابن كثير: ٣/ ٢١٤)

* كذلك يشرع الحق سبحانه وتعالى أشهراً حرماً يحرم فيها القتال لتهدأ النفوس وتتراجع عن غيها.. ذلك أن الحق سبحان جعل..

* ستاراً من حرمة المكان ،

* وستاراً من حرمة الزمان .. وذلك صيانة لكرامة الإنسان(١) .

ولذلك فإن الناس عندما يتخاصمون فمن الواجب أن يتدخل أحد بين الطرفين حتى يزيل من قلوبهم الضغينة، ولتسود السكينة، ويحمى كل طرف كبرياءه ذلك قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ .. فإنه علينا أن نعرف أن الحق سبحانه قد شرع للخلق المؤمنين به أن يؤمّنوا من يدخل البيت الحرام.

والمؤمن الذى يطيع ربه يجب أن يكون فى أمن وأمان. أما الذى لا يطيع

(١) عن أبى بكرة عن النبى ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضَرَ الذى بين جمادى وشعبان. أى شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أى بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه، قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى، قال: «فأى يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم ـ قال محمد: وأحسبه قال ـ وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» فكان محمد إذا ذكره، قال: صدق النبى ﷺ: ثم قال: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت».

أخرجه البخارى [٦/١٠] ومسلم [١٦٧٩]

خالقه فهو معرض لغضب الله، مثال ذلك ما حدث من اقتحام للبيت الحرام.. كما حدث من أبرهة الأشرم(١)، وكل من أراد الاعتداء على قداسة البيت الحرام. والسؤال هنا: كيف يحدث ذلك وهو أمن وأمان؟.. نقول: إن الله سبحانه بيّن لنا أن الشر لدى الناس له حكمة، وقضاء الله له نفاذه، فإرادة الناس لاقتحام البيت والتعدى عليه إرادة شر، ولكن الله حفظ بيته وجعل كيدهم فى تضليل، وعلى ذلك كل معتد، وقد حكى التاريخ لنا أن قلوباً مغلقة حاولت الاعتداء فظل البيت بيته آمناً مؤمّناً إلى يوم اللقاء.

تذكير الخلق ببناء الكعبة:

الحق سبحانه عندما وضّح لنا عملية بناء الكعبة المشرفة فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٢).

وجاءت ﴿ يَرْفَعُ ﴾ هنا فعلاً مضارعًا لتصوير الحدث الآن ليستحضر كل من

(١) قال الله تعالى: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾.
«سورة الفيل»

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٧... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء إبراهيم عليه السلام فوجد إسماعيل يصلح له بيتاً من وراء زمزم، فقال له إبراهيم: يا إسماعيل إن ربك قد أمرنى ببناء البيت، فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك به. قال: فأعنى عليه، قال: فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾.
أخرجه الحاكم [٢/ ٥٥٢] وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى

يقرأ القرآن حالة إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت يتصور المشقة والعناء اللتين كانا فيهما.

لقد كان التعب والمشقة من الأمور التى تحملها سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعه ابنه إسماعيل فى إقامة القواعد من البيت الحرام. وإذا كان الحق سبحانه يريد أن نتصور الحدث كأننا نراه فذلك ليلفتنا إلى أن النعمة التى أتمها الله على إبراهيم وإسماعيل كانت بالجهد والمشقة، والحق سبحانه يريد للمؤمنين أن يتعلموا كيف ينظرون إلى النعم التى أنعمها الله على عباده، وهى أن المؤمن حين يرى النعمة تصيب إنسانًا فلا يجب أن تشغله النعمة عن المشقة التى يتحملها الإنسان ليتم الله عليه هذه النعمة.

والإنسان المؤمن لا يشغله النظر إلى رزق الله للآخرين عن رؤيته الجهد الذى يبذله، فعلى الإنسان المؤمن أن يتصور التعب والمشقة التى يتحملها الإنسان فى سبيل استحقاق النعمة.. فلا ينظر المؤمن عند الحصاد الوفير، ولكنه ينظر أيضًا عند حرث الأرض، وبذر البذور، وجهد الرى، وساعات الترقب والانتظار والرعاية التى يبذلها الزارع ليأخذ أخيرًا عطاء الله له من رزقٍ وقت الحصاد.

والحق سبحانه حين يستحضر أمامنا مشقة إبرهيم وابنه إسماعيل فى بناء البيت، ذلك ليعلمنا أن بناء البيت إنما تم بالمشقة والتعب، وكأن الحق سبحانه يريد لعيون المؤمنين ألا ترى فى النعم ظاهرها فقط، ولكن أن ترى أيضًا كيفية الوصول إلى هذه النعمة. والإنسان يجب ألا ينظر إلى بيت تم بناؤه فقط ويقول:

لو أمتلك مثل هذا البيت .. لكن على الإنسان أن يسأل نفسه: هل كان ذلك المال من حلال ليبارك الله لصاحبه؟.. ترى هل كان بناء ذلك المنزل رحلة شاقة على صاحبه؟.. وهل كان العناء كبيراً على صاحبه؟

إن العين عندما تنظر إلى نعمة ما، فعلى عين الإنسان المؤمن أن تستحضر كل لحظات إتمام النعمة منذ بدايتها.. من تحمل مشقتها حتى إتمامها.

وبعد أن أتم إبراهيم وإسماعيل رفع القواعد طلبا من الخالق أن يتقبل منهما عملهما: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . ذلك ليعلمنا الحق سبحانه بدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى أن يدعو الإنسان بقبول عمله إذا قام به بنية خالصة لوجه الله تعالى .

فى بناء الكعبة التزام ورجاء:

إن دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هى :﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .. ذلك أن القبول، والمقابلة، والاستقبال.. كلها كلمات مأخوذة من مادة: المواجهة.. أى: يا ربنا لا تعرض عنا عملنا.. دعاء يريد به إبراهيم وإسماعيل الثواب، إنهما يرفعان الرجاء إلى الله.. يارب أنت أمرتنا، ونحن قمنا بالتكليف، فنرجو أن تثيبنا على عملنا هذا فأنت السميع الذى يَسْمعُ دعاءنا، والعليم الذى يعلم نيتنا ومدى إخلاصنا فى عملنا.

سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يعلمان الإنسان حين ينجز عملاً مطلوباً لله، فعلى الإنسان أن يدعو الله وقت العمل أن يتقبله سبحانه .. لماذا؟.. وذلك ليستحضر الإنسان استخلاص النية فى العمل لله الذى أمره بهذا العمل.

والحق سبحانه لا يكلف بعمل لاينفع الإنسان، فإذا استحضر الإنسان كل نيته وهو يقوم بالعمل الذى أمره الله به، فإنه يرجو الله أن يتقبل العمل.

وسيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى مخاطبة الحق سبحانه بأنه :

* السامع لكل دعاء،

* العليم بكل نية .

ذلك أن أى عمل له.. قالب يُنَفَّذُ به الإنسان، وله أيضًا.. نية، وعندما تتفق النية مع القالب، فإن ذلك هو العمل الذى يتلقى الإنسان عليه الثواب. أما الذى لا يستحضر النية فى العمل، ويؤدى العمل لمجرد التظاهر والتفاخر، فهذا الأمر يعرض الإنسان لفقدان الثواب. ولذلك نجد رسول الله ﷺ يقول فى حديثه الشريف: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١) .

إذن فكل عمل له قالب يؤدى به، وهذا القالب قد ينهى شكلية التكليف، وكل عمل له نية يقوم بها من يؤدى العمل، وهناك فرق بين أن تكلف بشيء فتفعله بحب.. وأن تفعل شكلية التكليف وتخرج من عملك خروج الذى ألقى عن كاهله عبء التكليف.. وكان إبراهيم وابنه إسماعيل يقولان: يا رب أنت أمرتنا أن نرفع القواعد من البيت وقد فعلنا ما أمرتنا.. وليس معنى ذلك أننا اكتفينا بتكليفك لنا، لأننا نريد أن نذوق حلاوة التكليف منك مرات ومرات.

(١) أخرجه البخارى (١/ ٧) ومسلم [١٩٠٧].

إن الإنسان لا يمكن أن ينتهى من تكليف ليطلب تكليفًا غيره إلا إذا كان قد عشق حلاوة التكليف ووجد فيه استمتاعًا. ولا يجد الإنسان استمتاعًا فى التكليف إلا إذا استحضر الجزاء عليه.. أى كلما عمل شيئًا استحضر النعيم الذى ينتظره على هذا العمل.. فيطلب المزيد والمزيد.





سيدنا إبراهيم عليه السلام أدى مطلوب الله أداء كاملاً، ولا أدل على ذلك من أنه أخذ الحجارة وأتى بحجر منها ليقف عليه ليزيد من ارتفاع البيت قدر هذا الحجر، ونحن نعرف أن إسماعيل عليه السلام كان يناول والده الأحجار فساعد فى رفع القواعد للبيت الحرام. وعندما ننظر إلى الحجر نجده لا يسع إلا وقوف إنسان واحد عليه، أما مكان الأقدام الموجودة فى هذا الحجر فهذا يعنى أن إبراهيم عليه السلام كان يقف ويحمل حجراً من المفروض أن يحمله اثنان، فكان لا بد من ثبات قدميه فى مكان آمن، وكان إسماعيل يساعد فقط فى نقل الأحجار وإبراهيم هو الذى يحمل الحجر.

وعندما يحمل إبراهيم وزنًا لا يحمله إلا اثنان ويقف ليرفعه، فلعله خاف أن يقع من فوق الحجر.. فهل يا تُرَى أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته عندما رأى

إبراهيم يحتال هذه الحيلة فقال لخليله: سأكفيك مئونة ذلك.. فجعل الحق سبحانه القدمين تغوصان فى الحجر غوصًا يسندها إن هى زلت. والإنسان الذى لا يتسع ذهنه إلى أن الله سبحانه جعل الحجر ليناً لإبراهيم نقول له: إن إبراهيم قد احتال وخاف أن ينزلق، أو تزل قدمه من فوق الحجر، فنحت مكاناً فى الحجر على قدر قدمه حتى يثبت قدمه فى الحجر، وحتى يستطيع أن يحمل ويرفع الحجر الذى لا يحمله إلا اثنان.

وهذه آيات بينات .. والذى يرجح هذا هو أننا نجد أن مكان القدم فى الحجر هى تعليمة مستوية، لأن الإنسان حين يضع رجله فإن للرجل بصمة خاصة، لكن مكان القدمين فى حجر إبراهيم مستوٍ. ولمن لا يتسع ذهنه أن الله جعل الحجر يلين، فليتسع ذهنه إلى أن إبراهيم حفر بنفسه مكانًا للقدمين فى الحجر!!

وليفهم كل إنسان على قدر فهمه، إما أن الله سبحانه أقدر وأعان إبراهيم، لأن إبراهيم فكر أن يبنى القواعد ويرفعها أكثر مما تطول يداه ولذلك أعانه الله. وإما أن يكون إبراهيم عليه السلام هو الذى صمم مكان القدم فصارت له، والآيات هى الأمور العجيبة، فعندما تراها فإنك لاتستطيع أن تنكر هذه المعجزة.

ونحن نعلم أن البيت قد تم بناؤه فى هذا المكان، وهذا المكان كان فيه القبائل التى بينها ثأر ودماء وحروب، لذلك يضع الله البيت الوضع الذى يعنى الأمن للإنسان الذى يدخله، وبمقتضاه تحقن الدماء:

 ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾(١) .

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

إذن .. فبيت الله لا يصح أن يدخله إنسان ويعاقب فيه؛ حتى ولو كان قد أجرم جرمًا يوجب الله عليه إقامة الحد فيه، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو ظَفرت فيه بقاتل الخطاب لم أتعرض له.. ولكن يُضَيّق الخناق على المجرم حتى يخرج من البيت الحرام، وهذا الأمن محدد بأى أمر اقترفه الإنسان فى دنياه، أما من دخله كان آمنًا حتى يوم القيامة.. فالحكم فيه شيء آخر.. إنها درجة عالية من فضل الله سبحانه وتعالى.

الآيــة

الأولى: الحجر الأسود:

ونجد من الآيات العجيبة.. أنك إذا ما نظرت إلى الحجر الأسود[1] تجد

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم».

أخرجه الترمذى [٨٧٧] وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى [٦٩٥]

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب استقبل الحجر ثم قال: إنى لأعلم أنك حجر لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم تقدم فقبله.

أخرجه البخارى [٣/ ٣٦٩]، ومسلم [١٢٧٠] (٢٥١)

ـ أى أن الحجر الأسود كل مذنب استلمه أو قبله تائبًا إلا غفرت ذنوبه فلهذا صار أسود.

ـ الحجر الأسود يشهد لمن يقبله بالجنة، فالحجر الأسود له مقام خاص، ومنزلة سامية فهو

ـ من بين الشهود الذين يشهدون للحجاج والمعتمرين يوم القيامة.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقبل الحجر فهمًا منه أنه يضر أو ينفع، كلاً فإنه موحد ظاهرًا وباطنًا، ولكنه يقبله إقتراء برسول الله ﷺ وكذا ينبغى لكل مسلم، والحديث رواه الحاكم وزاد: فقال على رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بل إنه يضر وينفع، وذلك فى تأويل كتاب الله تعالى فى قوله: ﴿ **وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم**

الناس تتهافت على تقبيله.. والحجر يمثل أدنى أجناس الكون، ونحن نعرف أن الإنسان مستخلف كسيد فى الكون، ومن بعده جنس الحيوان.. أقل منه فى الفكر ومسخر له. ومن بعد الحيوان يكون جنس النبات، وبعد ذلك يأتى جنس الجماد ومنه الحجر.

ونحن نرى أن هذا الإنسان السيد فى الكون، لا يقبل الله منه هذا النسك ـ نسك الحج ـ القبول التام الحسن إلا إذا قَبَّلَ الحجر أو حياه.

وهكذا ينقل الحق سبحانه أعلى الأجناس خلقًا إلى أدناها.. فالناس تتزاحم حول الحجر، ومن لم يُقَبِّلْ الحجر يحس أنه افتقد شيئًا كبيراً.

وهكذا نرى استطراقًا وسلوكًا من الخلق إلى الله.

فالإنسان المتكبر الذى يتوهم أنه سيد على غيره يأتى إليه أمر فى النسك...

* بتقبيل الحجر الأسود ،

* أو تحيته بالسلام.

والإنسان الذى يؤدى نسك الحج رغم تيسير الحق سبحانه له فى أن يُحَيِّى الحجر الأسود بالسلام، ولم يفرض عليه أن يُقَبِّلَهُ إلا أنه يحاول أن يقبل الحجر.. وهو أدنى الأجناس، لأن الله قد عَظَّمَهُ.

ألست بربكم قالوا بلى﴾ فلما أقروا أنه الرب عز وجل، وأنهم العبيد كتب ميثاقهم فى رق والقمة هذا الحجر، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى الموافاة فهو أمين الله فى هذا الكتاب. فقال عمر ﷺ : لا أبقانى الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن أ. هـ، ولكن فى سنده أبو هارون.

وهذا أول كسر لأنف غرور الإنسان بأن أعلى الأجناس يأتى ليقبل أدنى الأجناس وهو الحجر ويزاحم ليقبله، وحتى لا يظن ظان أنها حجرية أو وثنية فيأتى الأمر من الحق سبحانه برجم حجر آخر.

إذن فالحجرية لاملحظ لها هنا.. حجراً يقدس، وحجراً آخر يرجم.. أى أن حجراً يقبله الإنسان وحجراً آخر يزدريه ويحقره، إنها إرادة الآمر فقط إذن..

يأمر الحق سبحانه: عَظِّمْ هذا الحجر.. فيقول المؤمن: سمعاً وطاعةً.

ويأمر الحق سبحانه أن ارجم إبليس بهذا الحجر.. فيقول المؤمن: سمعاً وطاعةً.

إذن الذاتية الحجرية لا دخل لها على الإطلاق، ولذلك يقول أصحاب الظن السيء: إن الإسلام قد استبقى بعض الوثنية، فجعل من النسك تعظيم حجر.. نقول لهذا القائل: لماذا تقول تعظيم الحجر الأسود ، ولم تذكر رجم إبليس وهو ثلاثة أحجار، لقد عَظَّمَ المؤدى للنسك حجراً واحداً ، ورجم ثلاثة أحجار.

والحق الآمر يريد أن يقول لنا: إن المسألة ليست ذاتية، ولكنه احترام أمر الآمر سبحانه، لقد رفعنا الحق من حضيض عبادة الأصنام وقال لنا: قبلوا الحجر الأسود، وكانت عبادة الأصنام كفراً، وتقبيل الحجر منتهى اليقين فلقد نَقَلَنَا الحق من مساوٍ إلى مساوٍ، ولكن الأصنام كانت منتهى الشرك، وتقبيل الحجر الأسود منتهى اليقين.. أليست هذه من الآيات البينات.

الآية الثانية .. مقام إبراهيم:

﴿فيه ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾(١).

إننا نجد فى قول الله سبحانه صيغة الجمع ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ .. وبينات هى وصف الجمع، فلم يذكر سبحانه إلا مقام إبراهيم بعد الآيات، والمقام آية واحدة. وهذا يدل على أن مقام إبراهيم فيه الآيات البينات، وقد يقول قائل: أليس فى المقدور أن نضيف الآمان الممنوح لمن دخل البيت مع مقام إبراهيم لتكون هذه هى الآيات الموجودة فى البيت الحرام؟.. لكن الآيات البينات فى البيت الحرام أكثر من هذا بكثير ونحن نقرأ: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وذلك بفتح الميم فى مَقام، ولا ننطقها: مُقام.. بضم الميم، لأنها تعنى مكان إقامة إبراهيم. أما مَقام بفتح الميم فهى تعنى مكان القيام.. فلماذا كان قيام إبراهيم عليه السلام؟.. لقد كان إبراهيم يقوم ليرفع القواعد للبيت الحرام. وكان إبراهيم يقوم علَى حجر.

وعندما تنظر إلى مقام إبراهيم فإنك تجد فيه كل الآيات البينات لماذا؟..

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.. مقام إبراهيم هو الحجر الذى وقف عليه إبراهيم عند بناء البيت؛ فأثر قدماه فيه، وبقى للآن مع تطاول وتداول الأيدى عليه.

* عن أنس ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله ﷺ لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾.

أخرجه الترمذى [٢٩٦٠] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٣٦٠]

لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت، وكان يكفيه حين يرفع قواعد البيت أن يعطيه الارتفاع الذى يؤديه طول يديه.

وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أدى مطلوب الله، لكن إبراهيم تعود مع الله أن يؤدى كل تكليفات الله بعشق وحب وإكمال، لذلك تساءل إبراهيم عليه السلام.. لماذا لا أرفع البيت أكثر مما تطول يداى؟.. ولم تكن هناك فى ذلك الزمن القديم فكرة «السقالات» ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا ابنه إسماعيل، وأحضر إبراهيم حجراً ووقف عليه، وعندما يأتى إبراهيم بحجر ويضعه تحت قدميه ليقف عليه فإنه يرفع القواعد قدر الحجر.

إذن فإبراهيم خليل الرحمن أراد أن ينفذ أمر الله بالرفع للقواعد لا بقدر استطاعته البدنية له فقط، ولكن بقدر الاحتيال على أن يرفع القواعد فوق ما يطلبه الله.

الآية الثالثة .. بئر زمزم:

وبئر زمزم(١) الذى يوجد فى حضن الكعبة أليس هذا من الآيات البينات؟..

(١) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له».

صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٨٣]

إن من شرب من ماء زمزم بنية الشفاء شفاه الله، أو بنية النصر نصره الله، أو بأى مطلوب ناله، وشرب جماعة من السلف لآمال فبلغوها كما شاء الله. وللدارقطنى والحاكم: ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وفى رواية: من شربه =

والسيدة هاجر وهى تضع ابنها إسماعيل وتأخذ تبحث عن المياه له.. ثم ينبع الماء من تحت قدميه .. أليس هذا آية من آيات الله ؟.. لقد تركت السيدة هاجر الكعبة وراحت إلى «الصفا» ثم جرت إلى «المروة» وسعت فى ذلك سبعة أشواط لعلها ترى طيراً، أو تجد إنساناً يعرف طريق المياه لأن ابنها يحتاج إلى ماء يشربه. ولو أنها وجدت على الصفا والمروة مياهاً.. ما كان لقولها لإبراهيم عندما جاء بها للإقامة فى هذا المكان: إن الله لا يضيعنا(١) .. مدلول إنها أخذت تسعى، ولكن الله يقول لها ولكل إنسان عليك بالسعى، ولكن لن أعفيك من السعى إنما أُعْطِيكِ الماء من تحت قدمى إسماعيل، وفى هذا مصداق لقولها: إن الله لا يضيعنا.

الحق سبحانه جعل هاجر تسعى سبعة أشواط، ولا يمكن لامرأة فى مثل عمرها تَقْدِرْ على أكثر من ذلك، وهذه تعلمنا أن الأسباب يجب أن يأخذ بها الإنسان ويستخدمها، ولكن القلب يجب أن يتعلق بمسبب الأسباب.

= لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله، فيندب الشرب والتضلع منه مرة أخرى ونقله إلى الأوطان بنية صالحة، والله أعلم.

(١) عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل ومعه شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله.

وفى لفظ آخر: «... فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنسى ولا شىء فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت.

أخرجه البخارى [٣٣٦٣]

الإنسان عندما يرى بئر زمزم مكان قدمى إسماعيل، وعلى بعد منه الصفا والمروة، ويسعى بينهما مستعيداً تجربة السعى للبحث عن المياه حيث بئر زمزم مكان ضرب قدمى إسماعيل أليس فى هذا آيات بينات تهدى الإنسان إلى أن يباشر الأسباب ويأخذ بها، ويتعلق القلب بمسبب الأسباب، وهذا ما يعطى المؤمن إيمانية التوكل.. وهى تختلف عن الكسل.

فإيمانية التوكل إذن هى..

* أن الجوارح تعمل،

* والقلوب تتوكل.

الآيـــة
الرابعة .. الصفا والمروة :

الصفا هو جبل صغير يعرفه كل من حج أو اعتمر إلى البيت الحرام، والمروة جبل آخر، وكانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام قد سارت جيئة وذهاباً بين الجبلين تبحث عن الماء لولدها إسماعيل بعد أن تركها إبراهيم مع ابنها عند بيت الله المحرم. وعندما أراد إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وإسماعيل.

فقالت له هاجر : إلى من تكلنا.. الله أمرك بذلك؟

فقال إبراهيم : نعم أمرنى الله بذلك.

فقالت هاجر: إذن فالله لا يضيعنا.

هذا الحوار يدل على اليقين الإيمانى بأن الخالق سبحانه هو الرازق.. إن امرأة ووليدها الرضيع ليس لهما من أسباب الحياة إلا زوجها الذى يتركها، وذلك بوحى من المسبب الخالق الأكرم ومع ذلك ما استغاثت المرأة المؤمنة بأحد إلا بالخالق الأكرم.. وهذه أول قضية إيمانية: وهى استغناء المؤمن عن المخلوق بالخالق، فلقد قال إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء الذى جاء فى قول الحق سبحانه :



﴿ رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(١).

سيدنا إبراهيم عليه السلام يعلم أن هذا المكان الذى يُنزل فيه زوجته وابنه، مكان ليس فيه زرع أو ماء لأن ﴿ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ تعنى أنه غير ذى ماء. فحيث يوجد الماء، يوجد الزرع فالماء هو الأصل الأصيل لاستبقاء الحياة، وعندما يغيب الماء عن أم ووليدها فماذا يكون حالهما؟ .. لقد أصاب العطش إسماعيل فأخذت هاجر تستشرف بين الصفا والمروة لعلها ترى نبع ماء أو طيراً يتنزل على مكان ماء، أو لعلها تعثر على قافلة تعطيها بعض الماء. ثم ذهبت إلى جبل الصفا لتستشرف من فوقه شيئاً وأسرعت إلى جبل المروة وصعدت فوقه لتستشرف أيضاً فلم تجد شيئاً، وظلت تتردد بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ولنا أن نتخيل امرأة فى وحدتها ماذا يمكن أن تفعل لابنها الصغير الذى فى عطش؟.. وعندما بلغ

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

منها الجهد وانتهت محاولتها، وعادت إلى حيث يوجد الوليد، رأت الماء والسعي لم يأت بهذا الماء.

السيدة هاجر عندما قالت: إن الله لا يضيعنا.. إنها ارتبطت بخالق كل الأسباب، لذلك أعطاها الله بعد أن استنفذت كل الأسباب بالسعي. وهكذا تتأكد قضية الإيمان الأولى وهي الارتباط بخالق كل الأسباب لا بالأسباب نفسها، لقد أراد الله أن يقول لها: نعم أنا لن أضيعك.. لذلك جاء الماء بلا سبب منك عند قدمي الوليد، لقد ضرب إسماعيل الأرض بقدمه الصغير فانفجر الماء.. ماء زمزم.

وحين وجدت هاجر الماء عند قدم رضيعها، أيقنت حقاً أن الله لم يضيعها، وظل السعي بين الصفا والمروة شعيرة من شعائر الحج إلى بيت الله الحرام.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(١).

هذا ليستديم للإنسان الإيمان بالمسبب وعدم إهماله للسبب، وأيضاً ليفرق المؤمن بين..

*** التوكل،**

*** والتواكل.**

إن التوكل عمل قلب وليس عمل الجوارح، والتواكل تعطيل عمل

(١) سورة البقرة الآية ١٥٨.

الجوارح .. إذن ليس فى الإسلام تواكل، فالمؤمن الصادق يتوكل على الله بنيته، وقلبه يعمل بكل جوارحه بالأسباب التى خلقها الله لينال الجزاء على قدر العمل.

أما المتواكل فهو الذى يتكاسل عن العمل، والحق سبحانه يأمرنا بالتوكل عليه لا أن نتواكل عن العمل بجوارحنا عن الأسباب التى خلقها الله لنا.

شعيرة السعى بين الصفا والمروة بقيت لتذكرنا بهذه القضية الإيمانية التى أرادها الله منها.. وهى استيفاء الجمع بين سببية الأسباب فى الجوارح، وبين الإيمان بالله سبحانه والتوكل عليه.

ولكن بعد ذلك غفل الخلق عن أمر الإيمان، ودخلت عبادة الأصنام فى الجزيرة العربية وأوجدوا على جبل الصفا صنمًا اسمه «أساف» وعلى جبل المروة صنمًا اسمه «نائلة» وبذلك نقلوا السعى بين الصفا والمروة من التوحيد الخالص لله إلى الشرك والوثنية[1].

وعندما جاء الإسلام أراد الله ألا يتوجه الناس إلى البيت إلا بعد أن يمحص حقيقة البيت الحرام، ويعلم خلقة أن هذا البيت الحرام هو بيت خالص لله وبإرادة

(١) قال الشعبى: كان أساف على الصفا وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما فنزلت الآية: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾**.
وقال محمد بن إسحق فى كتاب السيرة: إن أسافا ونائلة كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عُبدا ثم حُولا إلى الصفا والمروة فنُصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما.
(تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٩)

الله، لذلك فعندما ذهب بعض الصحابة ليعتمروا قبل فتح مكة تحرجوا أن يسعوا بين الصفا والمروة حتى لا يفعلوا ما يفعله عبدة الأصنام في الجاهلية لذلك جاء الحق ليعيد إلى الصفا والمروة صفاء ارتباط المسبب بالأسباب، ويرجع ذلك الفعل لله سبحانه وليس لأساف ونائلة(١). ومادامت النية خالصة لله فالأجر أيضًا من عند الله، فالحق يأمر عبادة المؤمنين أن يطرحوا من خاطرهم أمر الشرك ويأمرهم بالسعي بين الصفا والمروة فهذا السعي ليس من شعائر الوثنية، ولكنه من شعائر زيارة البيت الحرام. فإذا جعل الكفار من السعي بين الجبلين عملاً وثنيا فذلك من غفلتهم لأنهم نسوا أنها من شعائر(٢) الحق سبحانه، وأن قداسة الصفا والمروة أقدم من أصنامهم، وقداسة الكعبة أقدم من أصنامهم بدليل أنهم وضعوا هذه الأصنام في هذه الأماكن المقدسة ليحموها من اعتداء الآخرين عليها.

والصفا كما نعرف جبل صغير قد صار أملس من كثرة ملامسة الناس له، واللمس برغم أنه ظاهريًا، إجراء صغير في الأثر، إلا أن تكرار الملامسة له من ملايين زوار بيت الله يزيد الجبل نعومة.

وقد قال بعض العلماء: إن الصفا منسوب إلى اصطفاء آدم، وجبل المروة منسوب إلى المرأة التي هي حواء، ونحن نقول: إن مثل هذا الكلام هو علم لا

(١) أساف ونائلة: أسماء أصنام.

(٢) قال الأزهري: الشعائر: المعالم التي ندب الله عز وجل إليها، وأمر بالقيام بها.
وقال الفراء: هي أمور الحج.

(لسان العرب مادة: شعر)

ينفع، وجهل لا يضر، ولكن المسألة الباقية في الذهن هي أن الحق سبحانه أراد السعي بين الجبلين الصفا والمروة شعيرة من شعائر الحج والعمرة وذلك في قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.. وهنا نعلم أن هذه الشعيرة من المعالم المكانية للعبادة، فهناك غير شعيرة السعي، شعيرة رمي الجمار، وشعيرة الطواف، وغير ذلك من الشعائر:

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(1).

الحق سبحانه يريد أمراً واضحاً هو ارتباط المخلوق بالخالق، وتذكر ما فعلته هاجر.

والطواف لا يختلف عن السعي بين المكانين لأن الإنسان سيجعل من السعي سبعة أشواط.. البداية نهاية، والنهاية بداية، وفي ذلك نوع من الطواف، والمراد بالطواف ليس هو الدوران حول الجبلين، ولكنه الطواف بينهما.

الحج والعمرة لهما مقام الفرضية ذلك أن الحج على القادر فرض، والعمرة تقرُّب فالذي يحج مرة يسقط عنه فرض الحج، ومن يعتمر ينال أجر العمرة، أما من يزيد من مرات الحج أو العمرة فذلك تطوع كما يقول الحق سبحانه:

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

هذا التطوع يقبله الله بالشكر، وهو عليم بالنوايا الخالصة له(2).

(1) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

(2) قال ابن كثير: ﴿فإن الله شاكر عليم﴾ أي يثيب على القليل بالكثير، عليم بقدر الجزاء =

الله جل جلاله شاكراً للمؤمن زيادة عدد مرات الحج أو الزيارة، فللمؤمن أن يعلم أن الشاكر هو الله، وعظمة الحق سبحانه أنه يعطى الإنسان الذى يؤدى فوق المفروض عليه من العبادة، عطاءً بلا نهايه وهذا التطوع يدل على عشق التكليف الإيمانى، ولذلك شكر الله هو مزيد من العطاء والثواب.

البيت العتيق:

البيت العتيق(١) هو الكعبة المشرفة.. ،كلمة عتيق تستخدم فى اللغة استعمالات واسعة وهى:

* **العتيق** بمعنى : **القديم**.. ومادام هو أول بيت وضع للناس فهو قديم، والعتيق يمدح لأن الشىء حين يكون قديماً فمعنى ذلك أنه هام ومحافظ عليه، ولا يحافظ على الشىء إلا إذا كان مهماً أو له مكانة ومن ذلك الآثار والتحف.
* **والعتيق** أيضًا : هو الشىء **الجميل، والحسن**، والعتيق هو **المعتوق** من سيطرة الغير مثل: عتق العبد وذلك أيام وجود الرق والاستعباد.
* وعتيق أيضاً بمعنى **نفيس ومهم**.

= فلا يبخس أحدا ثوابه **﴿لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾**.

(تفسير ابن كثير: ١/ ٢٠٠)

(١) سُمى البيت العتيق لأنه قديم البناء، إذ كانت الملائكة تطوف به قبل خلق آدم. وقيل لأنه أعتق يوم الغرق، وقيل لأنه لم يظهر عليه جبار قط.
قال مجاهد: عتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه.

(إعلام الساجد بأحكام المساجد: ٧٩)

فبيت الله عتيق لقدمه لأنه أول بيت وضع للناس، فحينما نزوره فإن الله يطهرنا من الذنوب، وهذا شيء يحبه ويتمناه كل مسلم. وبيت الله معتوق من سيطرة الغير لأن الله يحميه من سيطرة الجبابرة وتحكمهم.

وأبرهة حين أراد أن يهدم الكعبة أهلكه الله، ودمر جيشه بأن سلط عليه أضعف جنود من جنود الله، وهى الطير الأبابيل، وجعله عبرة لكل طاغية يحاول أن يمس بيت الله بسوء[1]. حتى الفيل وهو حيوان أعجمى كانوا إذا وجهوه إلى الكعبة برك، وقيل إن الفيل كان اسمه: محمود.. وقيل له فى أذنه: أبرك محمود وارجع راشداً فإنك فى بلد الله الحرام.. فرفض الفيل أن يتحرك خطوة واحدة إلى الأمام.

---

(١) لما سار أبرهة بجيش كبير إلى مكة ليهدم الكعبة انتهى إلى المغمس ـ مكان قريب من مكة ـ ونزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه، وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب وأرسل أبرهة إلى أشراف قريش ليخبرهم أنه ما جاء لقتالهم إلا أن يصدوه عن البيت فقال عبد المطلب لرسول أبرهة: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلى بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له الرسول اذهب معى إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجلّه، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتى أن يرد علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى. فقال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى.. أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟ فقال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه.

(تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤٩)

وحينما ذهب عبد المطلب إلى أبرهه يطلب منه الإبل التى استولى عليها جيشه فقال له أبرهة متعاليًا:

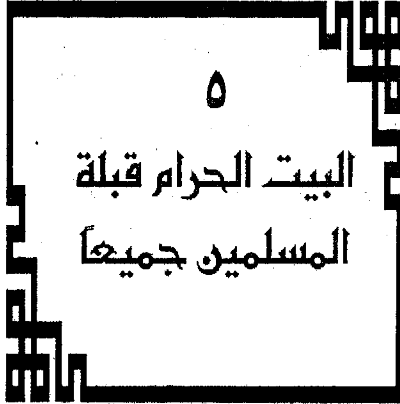
كنت قد تَهَيَّبْتُكَ لأنك سيد قريش، وبعد ذلك تأتى لتحدثنى فى مائة بعير أصبتها لك، ولا تذكر أى شيء عن البيت الذى فيه مجدكم، والذى جئت لأهدمه، فقد سقطت من نظرى..

فما كان من عبد المطلب إلا أن قال له:

ـ أنا رب هذه الإبل، وللبيت رب يحميه.

هذه حجة قوية من عبد المطلب، فهو لم يترك البيت لمصيره خوفًا أو ضعفًا، وإنما تركه لأنه يعلم يقينًا أن البيت الحرام له رب يحميه، ويدافع عنه.





٥ البيت الحرام قبلة المسلمين جميعًا

الحق سبحانه وتعالى يَعْلم أن عملية الابتلاء بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة هى عملية شاقة، لذلك أَعْلَمَ الحق مسبقًا بقضية الكعبة.. وكيف أنها أول بيت أراده الحق للخلق، ثم انطمس البيت فى أزمنة الغفلة، ثم هدى الله إبراهيم خليل الرحمن ليقيم القواعد من البيت الحرام، ويعلم الحق سبحانه أن الخلق فى واقع الحياة يعيشون فى جدل وخصام مع اليهود، ومع ذلك كان يتوجه المؤمنون فى صلاتهم إلى قبلة اليهود وهى بيت المقدس، وقد كان ذلك أمرًا شاقًا على النفس. لكن الإنسان الذى يتبع ما جاء به الرسول من منهج لا يخرجه عن المنهج أى مشقة مهما تكن.

المؤمن له من رصيد الإيمان بالخالق المكلّف ما يجعله يقبل على التكليف وإن كان شاقًا على النفس. وسمى التكليف تكليفًا لأنه شيء لا يأتى على

مقتضى الهدى البشرى، أو على مقتضى ما يحب الإنسان.. فقد يأتى التكليف على غير ما يحب، ولذلك يقول الحق سبحانه عن هذا التكليف:

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾(١).

المؤمن الذى يهديه الله بالإيمان ينطلق فى كل أعماله فى أمر الله خاشعًا لله، والمؤمن بالله ينفذ ما أمره الله به فى دقة ، ولا يرجح أمرًا على أمر لأن المراد بالدين هو الطاعة لله، والطاعة لا تتجلى إلا فى أن يسلم المؤمن زمامه لمنهج الله(٢).

الإنسان المؤمن يقبل على المنهج لأنه متيقن أن فيه هداية له. أما الذين يبحثون عن علة لكل أمر من عند الله، فهم الذين يرهقون أنفسهم فلا يقبلون على منهج الله بمنطق إيمانى، لذلك لم يترك المشككون فى الإسلام، والمتربصون به قضية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أن تمر هكذا دون أن يجد المتشككون فرصة لهم، إذ قالوا للمؤمنين: إن كانت القبلة هى الكعبة فقد ضاعت صلاتكم أيام أن اتجهتم إلى بيت المقدس. وإن كانت القبلة هى بيت المقدس فستضيع صلاتكم وأنتم متجهون إلى الكعبة.. ولهؤلاء نقول: لقد أخطأتم عندما حكمتم أن القبلة واحدة، لقد عزلتم الحكم عن زمن الحكم،

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) قال ابن كثير: **﴿وإن كانت لكبيرة﴾** أى هذه الفعلة وهى صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أى وإن كان هذا الأمر عظيمًا فى النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذى لا مرية فيه.

(تفسير ابن كثير: ١/ ١٩١).

لقد كانت قبلة بيت المقدس التى أرادها الله قبلة للمسلمين هى أَوْلَى من التوجه للكعبة، وحين انتهى ذلك الزمان جاء أمر الحق بالاتجاه إلى الكعبة.. فلا بيت المقدس اعتدى على حق الكعبة، ولا الكعبة اعتدت على حق بيت المقدس، ذلك أن صاحب الأمر بالتوجه إلى هنا أو إلى هناك هو الحق سبحانه.

فى عهد رسول الله ﷺ أراد بعض المتشككين أن يثيروا فى المسلمين الفتنة فقالوا: إن الذين ماتوا قبل تحويل القبلة إلى الكعبة ضاعت صلاتهم وضاع إيمانهم، ولذلك جاء قول الحق سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(١).

فى هذا القول الفصل إيضاح وبلاغ هو..

* إن الذين اتبعوا الرسول فى الاتجاه إلى بيت المقدس لا يضيع جزاؤهم لأن بيت المقدس كان قبلة فى أمر الله بالاتجاه إليه(٢).

* والذين اتبعوا الرسول فى الاتجاه إلى الكعبة لهم جزاؤهم.

إذن كل أمر مرهون بزمانه.. فلا يضيع الله إيمان المؤمنين به والملتزمين بمنهجه وهو الرءوف الرحيم، فإن هذا أمر لا يمكن لمؤمن أن يصدقه. والرأفة

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) عن البراء قال: لما وجه النبى ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصَلُّونَ إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾**.
أخرجه البخارى [٤٤٨٦]

هنا جاءت ليبلغنا الحق سبحانه أن هناك مشقة على نفوس المسلمين منذ اتباعهم لقبلة اليهود فجاء الخلاص منها، والرحمة هى بلاغ الحق سبحانه:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾(١).

الحق سبحانه سيمنع عن المؤمنين به مثل هذا الابتلاء، ولتكون الكعبة هى قبلة المسلمين حتى آخر الزمان.. فجاء الأمر:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

الكعبة هى القبلة للمسلمين منذ لحظة أن جاء الأمر بها إلى نهاية الدنيا، فقد جاء الحق بالفعل المضارع ﴿ نَرَىٰ ﴾ ونحن نعرف أن الفعل المضارع يعبر

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

عن عبد الله بن عمر قال: بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

أخرجه البخارى [١/ ٤٢٥] ومسلم [٥٢٦]

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

عن الزمن الذى جاء فيه الأمر، وعن المستقبل ذلك أن الحق يريد أن يصور لنا الصورة النفسية للرسول ﷺ فلقد كان يحب ويشتاق أن يتجه إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس، لكنه كان ينفذ مشيئة الله بالاتجاه إلى بيت المقدس.

وكان ﷺ قد اعتاد أن يأتيه الوحى من علو .. فكأنه ﷺ كان يتجه ببصره إلى السماء مكان إيتاء الوحى .. ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان قلبه متعلقًا بأن يأتيه الوحى بتغيير القبلة .. فكأن هذا أمر شغله، لقد شُغِلَ الرسول بأمر أن يأتيه الوحى بتغيير القبلة، وهو مَشُوقٌ للقاء الوحى الذى يأتيه بصلصلة كصلصلة الجرس[1] لأنه ارتباط عاطفى لا ينتهى، فهو ارتباط مشوق إلى هداية الخلق بنور الخالق، وليست هَبَّةٌ عاطفية ما تلبث أن تخبو.

وقد يقول قائل: كيف يتطلع الرسول إلى حكم جديد فى وجود حكم قائم؟.. ألم يكن الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس قائمًا؟.. لمثل هذا القائل نقول:

* هناك فرق بين أن يأتى حكم من الحق سبحانه موافقًا للعاطفة،
* وبين حكم كان ينفذه الرسول ﷺ بناء على أمر من الله.

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبى ﷺ: كيف يأتيك الوحى؟ فقال: «أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علّى. ثم يَفْصِمُ عنى وقد وعيته، وأحيانًا مَلَكٌ فى مثل صورة الرجل فأعى ما يقول».

أخرجه البخارى [٢] ومسلم [٢٣٣٣] (٨٧)

يَفْصِم عنى: أى يقلع وينجلى ما يتغشانى منه.

والفصم: القطع من غير إبانة.

ولقد كان تنفيذ الرسول لأمر الله بالتوجه إلى بيت المقدس يمثل خشوعًا كاملاً من الرسول ﷺ والرسول يعلم أن الكعبة أول بيت وضعه الله للناس، ويعلم ﷺ أن الكعبة بيت إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك كان يتجه لبيت المقدس بناء على أمر الله.. إذن فهذه شهادة للرسول ﷺ أن عواطفه لم تؤثر فى تنفيذ حكم صادر من الله، ولذلك نجد مبادرة الحق فى إرضاء عاطفة الرسول ﷺ وتكريم استقامته على المنهج.

لقد كان ميقات حكم التحويل فى منتهى الدقة.. لقد جاء حكم التحويل ليس من فراغ من صلاة، بل جاء حكم التحويل والرسول يصلى.. يصلى ركعتين وهو متجه إلى بيت المقدس، ثم يأتى الأمر بتحويل القبلة فيصلى ركعتين متجهًا إلى الكعبة[1].

والمشككون فى الإسلام قالوا: ألم يكن الرسول راضيًا عن التوجه إلى بيت المقدس؟.. ولهؤلاء نقول: عليكم أن تفرقوا بين التوجه إلى قبلة اتجه الرسول ﷺ إليها بحب العقل المنصرف لكامل خشوعه إلى أمر الله، وبين العاطفة. ولقد كان أمر الله سبحانه بالتوجه إلى الكعبة تكريمًا من الحق للمؤمنين

(١) عن البراء رضي الله عنه أن النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وإنه صلى أو صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قِبَلَ مكة فداروا كما هُمّ قِبَلَ البيت، وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾.

أخرجه البخارى [٤٤٨٦] =

وللرسول، إنه اتجاه إلى البيت الذى أراده الله كأول بيت وضعه للناس، إنه اتجاه إلى بيت يحبه رسول الله ﷺ ، وكأن الحق سبحانه وتعالى هيأ لأمر التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة بتطلع الرسول ﷺ إلى التغيير، وكأن الحق سبحانه أراد لعواطف رسوله أن تتجه لتصنع مقدمات التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة، ويكون الأمر بأن يولى الرسول ﷺ وجهه شطر المسجد الحرام.. والمراد بالوجه هو الذات كلها.

تحـويل القبلة

تثبيت إيماني:

أهل الكتاب الذين حاولوا أن يجعلوا من أمر تحويل القبلة مثاراً للتشكيك، وزعزعة للإيمان فى اتباع رسول الله يقول الحق عنهم:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

أهل الكتاب يعلمون أن الرسول محمد ﷺ القادم بعد عيسى عليه السلام هو صاحب القبلتين، وكانت هذه إحدى صفاته فى التوراة، ورغم سابق علمهم بذلك فقد أخفوا هذا الأمر وأرادوا أن يشككوا المسلمين فى أمر دينهم، فلقد

= وعن ابن عمر ﵄ : بينا الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاء جاءٍ فقال: أنزل الله على النبى ﷺ قرآنا أن يستقبل الكعبة ما ستقبلوها فتوجهوا إلى الكعبة.
أخرجه البخارى [٤٤٨٨].

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

أوضح الحق سبحانه فى التوراة المنزلة على موسى عليه السلام أن الرسول الذى سوف يجىء سيتجه إلى بيت المقدس ثم يتجه إلى الكعبة، وفى كلا الأمرين كان الرسول خاضعًا خاشعًا لإرادة الحق، فكان يجب على أهل الكتاب أن يعلموا أن هذا التحول هو دليل على أن محمداً هو الرسول الذى فرضت عليهم التوراة أن يتبعوه لأنه الرسول الذى صلى إلى قبلتين، لكنهم أرادوها فرصة للتشكيك رغم علمهم أنها إرادة الحق سبحانه، فكان يجب أن يكون هذا التحول للقبلة تثبيتًا إيمانيًا وليس وسيلة لزعزعة اليقين. فإن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذا الأمر هو من الخالق سبحانه الذى ينبههم أنه قد أنزل ذلك فى التوارة، وسبحانه لا يغفل عن حكم أنزله فيثبت ذلك فى كتابه الكريم.

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يُطَمْئِنَ رسول ﷺ أن تشكيك أهل الكتاب لا يقدم ولا يؤخر فى أمر الدعوة، ويجب أن يأخذ الرسول ﷺ مواقفهم هذه على أنها مواقف لجاج وليست مواقف طلاب حُجّة، فلو كانت مواقفهم مواقف طلاب حجة لوجدوا فى التوارة الحجة التى تقنعهم، ومادام الأمر لجاجًا[1] .. عناداً.. مكابرة، فعلى الرسول ﷺ أن يطمئن إلى تنفيذ ما جاء به الأمر الحق سبحانه وتعالى لأن المعاند أو اللاج أو المكابر لن يقتنع أحدهم، ولأنهم لو كانوا مؤمنين بكامل التوراة لأعلنوا الإيمان برسول الله ﷺ الذى جاءت به البشارة فى التوراة ويوضح ذلك الحق سبحانه بقوله:

---

(١) اللجاج واللجامة: الخصومة، والتلجلج.. التردد فى الكلام.

(ترتيب القاموس: مادة لجج)



﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

أهل الكتاب حاول بعضهم أن يعلق أمر إسلامه بضرورة عودة القبلة إلى بيت المقدس، فهؤلاء القوم لن يؤمنوا لأنهم ليسوا طلاب دليل ولا طلاب حجة.

والله سبحانه وتعالى يعلم أنهم لن يتبعوا قبلة الكعبة وهى القبلة الجامعة، ومهما جاءهم الرسول بالحجج القطعية على أن الكعبة هى القبلة الحق، فهؤلاء لن يقتنعوا لأن كلا منهم متمسك بقبلته.. اليهود متمسكون بقبلتهم إلى بيت المقدس وبصورة تختلف عن تمسك النصارى بقبلتهم، فإن كل فريق يعتقد أن الفريق الاخر ليس على حق، لذلك فهم لن يتبعوا قبلتك أيها الرسول الكريم.

وساعة تسمع ﴿ ولئن ﴾ واو ولام و«إن» فهذا قسم. فكأن الحق تبارك وتعالى أقسم أنه لو أتى رسول الله ﷺ أهل الكتاب بكل آية ما آمنوا بدينه ولا اتبعوا قبلته.. لماذا؟ .. لأنهم لا يبحثون عن دليل، ولا يريدون الاقتناع بصحة الدين الجديد، ولو كانوا يريدون دليلا أو اقتناعًا لوجدوه فى كتبهم التى أنبأتهم عن رسول الله ﷺ وأنه النبى الخاتم وأعطتهم أوصافه.. فكأن الدليل عندهم ولكنهم يأخذون الأمر سفهًا وعنادًا ومكابرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ .. فكأنه حين جاء الأمر بتغيير

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٥

القبلة أعلمنا الله أن المسلمين لن يعودوا مرة أخرى إلى الاتجاه نحو بيت المقدس، ولن يحولهم الله إلى جهة ثالثة. ولكى يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن اليهود والنصارى سيكونون فى جانب ونحن سنكون فى جانب آخر، وأنه ليس هناك التقاء بيننا وبينهم، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ .. فالخلاف فى القبلة مستمر إلى يوم القيامة..

ويقول الحق: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .. حين يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله وحبيبه محمداً ﷺ بهذه الآية .. وهو يعلم أن محمداً الرسول المعصوم لا يمكن أن يتبع أهواءهم نقول: إن المقصود بهذه الآية هى أمة محمد ﷺ.

ولننظر إلى خطاب الله سبحانه إلى حبيبه محمد ﷺ فسبحانه يَعْلَمُ عن رسوله أنه لن يتبع أهواءهم، ولكن فى ذلك خطاباً لأمة محمد ﷺ فى شخصه. وهكذا نفهم الدرس الإيمانى.. لقد تحمل الرسول ﷺ أن يخاطب الحق أمته فى شخصه وذلك بأن يقول:

﴿ وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (١).

(١) سورة فاطر: الآيتان ٣١، ٣٢.

الحق سبحانه وتعالى يخبرنا أن القرآن هو الحق الذى لا شبهة فيه، أنزله الله مصدقًا لما تقدم من الكتب المنزلة على الرسل من قبل.. والله خبير بصير بعباده. وهذا القرآن جعله الله ميراثًا لأمة محمد ﷺ ومن هذه الأمة:

* من يظلم نفسه بأن تقلب حسناته إلى سيئات،

* ومنهم من لم يسرف فى السيئات،

* ومنهم من لم يكثر من الحسنات،

* ومنهم السباق إلى فعل الخير بتيسير من الله، وذلك هو الفوز العظيم.

وهكذا يعلمنا الحق سبحانه أن أمة محمد ﷺ قد ورثت المنهج الصحيح لذلك فلا اتباع لهوى من أهواء أهل الكتاب حتى لا نكون من الظالمين لأنفسنا(١).



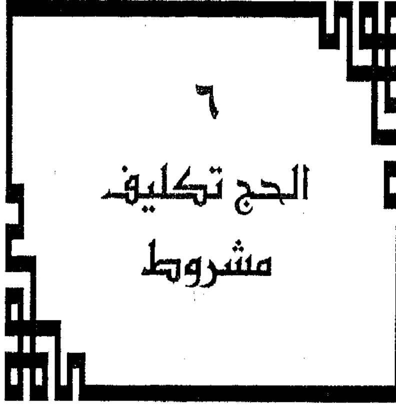
(١) يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ـ أمة النبى ﷺ ـ ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى:

■ ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات، والمرتكب لبعض المحرمات.

■ ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدى للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

■ ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

(تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٤٤)



الله سبحانه وتعالى يطلب من المسلم أن يتم الحج والعمرة، والله سبحانه لا يريد من المؤمن أن يقوم فقط بالمناسك.. مناسك الحج، لكن لأن يتم الحج.. أى يجعله المسلم مستوفيًا لكل مطلوبات المشرع منه. وقد يقول قائل: هل الحج شيء، والعمرة شيء آخر؟

ولنا أن نلاحظ قول الحق سبحانه:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1] .

ونجد هنا .. واو العطف تربط بين الحج والعمرة[2]، ونحن نعلم أن العطف

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٢) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا». أخرجه مسلم [١٣٣٧] =

يقتضى المغايرة ويقتضى المشاركة، بمعنى أن هناك جزءاً مشتركًا بين الحج والعمرة، وأن هناك جزءاً مختلفاً.

ووجه **المشاركة** بين الحج والعمرة أن كليهما ..

١ – نسك،

٢ – يتم بالنية،

٣– والطواف حول البيت الحرام.

٤– السعى بين الصفا والمروة.

ولكن هناك **اختلافاً ومغايرة** وهى ..

* **العمرة**(١) .. لا تتم فى زمن مخصوص، ولا تقتضى الوقوف بعرفة.

* **الحج**(٢) .. له زمن مخصوص، ولا يتم الحج إلا بالوقوف بعرفة.

= وعنه أيضاً قال: سئل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور».

أخرجه البخارى [١/ ٧٣] ومسلم [٨٣]

وعن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»

أخرجه البخارى [٣/ ٤٧٦] ومسلم [١٣٤٩]

وعن جابر ؓ أن النبى ﷺ قال: «عمرة فى رمضان تعدل حجة».

أخرجه البخارى [٣/ ٤٨٠] ومسلم [١٢٥٦]

(١) **العمرة**: تكون فى جميع أيام السنة وقت لها، إلا أن يكون متلبسًا بالحج، وروى عن أنس أنه كان بمكة، فكان إذا حمم رأسه، فخرج فاعتمر.

(شرح السنة: ٧/ ٣٤)

(٢) وعن ابن عمر ؓ قال: أشهر الحج شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة.

أخرجه البخارى تعليقاً [٣/ ٣٣٣]

الحق سبحانه ينبه الخلق إلى النور والخير الموجودين فى البيت الحرام الذى جعله الله قبلة للمؤمنين..

* ففيه مقام إبراهيم عليه السلام.

* وفيه يرى الإنسان تمام فضل العمل المتقن الذى أقامه إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله سبحانه أن يقيم البيت الحرام على القواعد التى بينها له.

* وفيه الصفا والمروة حيث كانت هاجر تبحث عن الماء لإسماعيل عليه السلام.

* ثم زمزم حيث انفجرت البئر تحت قَدَمَىْ إسماعيل عليه السلام، ذلك:



﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

وفريضة الحج هى فرض لازم على القادر(٢)، أما غير القادر فلا جناح عليه،

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

(٢) عن أبى هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال: «ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ماستطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه».

أخرجه مسلم [١٣٣٧]

ولكن من يترك الحج فى استغناء عنه رغم قدرته فهذا كفر بما أراده الله من المسلمين.

ولكن هل العمرة حج إلى بيت الله؟ .. نعم العمرة حج كبير، وإن كان الحج فى ميعاده المحدد هو الحج الأكبر، وذلك فى قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

الله سبحانه وتعالى قد حدد الحج الأكبر بميقات عرفة، ومعنى ذلك أن عرفة ومشهدها، والحج ومناسكه فى الزمان المقرر له هو الحج الأكبر، أما الحج الكبير فهو العمرة لأنها توجه إلى بيت الله الحرام، والقصد إلى بيت الله الحرام فى العمرة يتوزع على العام كله، والقصد إلى بيت الله فى الحج الأكبر محدد بميعاد عرفة، والناس تحتشد فى عرفة بأعداد أكبر من الأعداد التى تذهب إلى العمرة.

والحق سبحانه وتعالى حين يطلب مخاطباً عباده:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

(١) سورة التوبة: الآية ٣.

فإنه سبحانه يعلم أن بعضهم سيقبل على العبادات إقبالاً شكلياً، وقد يقبل على العبادة بعض آخر من الناس بأغراض أخرى غير العبادة، فكان لابد أن يبين الحق الاكرم للخلق أن مجرد القصد إلى الحج أو العمرة، إنما مطلوب من العباد إتمام العبادة بأن يكون الحج أو العمرة لله سبحانه.

البعض قد يذهب إلى الحج بغرض أن ينال لقب، والحج يقبله الله من العبد إن أخلص أداء المناسك(١) وذلك لوجه الله لا من أجل لقب أو غير ذلك.

(١) حجة رسول الله ﷺ (**وهي حجة الوداع**)

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

«دخلنا على جابر بن عبد الله ﷺ، فسأل عن القوم حتى انتهى إلىّ؛ فقلت: أنا محمد ابن على بن حسين، فأهوى بيده على رأسي فنزع زرى الأعلى، ثم نزع زرى الأسفل، ثم وضع كفه بين ثديي، وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك ياابن أخي، سَلْ عما شئت؟ فسألته ـ وهو أعمى ـ وحضر وقت الصلاة، فقام في نساجة (ثوب كالطيلسان) ملتحفًا بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاهما إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه على المشجب(*) فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ. فقال بيده: فعقد تسعًا، فقال:

إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين ـ أى بالمدينة ـ لم يحج، ثم أذّن في الناس في ـ السنة ـ العاشرة: أن رسول ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله.

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت «أسماء» بنت عُمَيْس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلى واستثفرى بثوب وأحرمى».

الاستثفار: أن تشد في وسطها شيئا، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها لمنع سيلان الدم.

فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب «القصواء» (ناقة النبي ﷺ) حتى إذا =

(*) اسم لأعواد يوضع عليها الثياب ومتاع البدن «الشماعة».

= استوت به ناقته على البيداء نَظَرْتُ إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أَظْهُرِنَا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به.

■ فأهلّ - رفع الصوت بالتلبية - بالتوحيد: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك**» (أهلّ: من الإهلال: وهو رفع الصوت بالتلبية).

وأهلّ الناس بهذا الذى يهلّون به، فلم يَرُدّ رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

■ قال جابر ﷺ : لسنا ننوى إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرَمَلَ ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿**واتّخِذوا من مقام إبراهيم مصلّى**﴾.

■ فجعل المقام بينه وبين البيت.

فكان يقرأ فى الركعتين: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ و ﴿**قل يأيها الكافرون**﴾. ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا.

■ فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره **وقال**: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**». وهزم الأحزاب وحده، معناه: هزمهم بغير قتال من الآدميين ولا بسبب من جهتهم، والمراد بالأحزاب: الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق.

ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى حتى إذا صعدنا مشى، حتى إذا أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة، **فقال**: «**لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهَدْىَ وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحلّ، وليجعلها عمرة**».

فقام سراقة بن مالك بن خثعم فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة فى الأخرى **وقال**: «**دخلت العمرة فى الحج مرتين لا، بل لأبدِ أبدٍ**» =

= وقدم عليّ من اليمن ببُدْنٍ للنبى ﷺ فوجدنا فاطمة رضي الله عنها ممن حلّ ولبست ثيابًا صبيغًا، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبى أمر بهذا.

قال: فكان علّى يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشًا على فاطمة للذى صنعت(*).

مستفتيًا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقت صدقت، ماذا قلت حيت فرضت الحج؟

قال: قلت: «اللهم إنى أهِلّ بما أَهلّ به رسولك».

قال: فإن معى الهدْىَ فلا نحل.

قال: فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمين؟ والذى أتى به النبى ﷺ، مائة.

قال: فحلّ الناس كلهم وقصروا، إلا النبى ﷺ، ومن كان معه هدى.

فلما كان يوم التروية (هو اليوم الثامن من ذى الحجة) توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر، والمغرب ، والعشاء، والفجر.

ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة.

فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية(**).

فأجاز رسول الله ﷺ - أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها - حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس، أم بالقصواء فرحلت له (أى جعل عليها الرحل) فأتى بطن الوادى (هو وادى عرفة) فخطب الناس، وقال: =

(*) التحريش: الإغراء، والمراد هنا أن يذكر له ما يقضى عتابها.

(**) كانت قريش فى الجاهلية تقف بالمشعر الحرام، وهو جبل بالمزدلفة يقال له فرح، وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبى ﷺ يقف فى المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبى ﷺ إلى عرفات، لأن الله تعالى أمره بذلك فى قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أى سائر الناس العرب، غير قريش وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه).

= «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ابن ربيعة بن الحارث** ـ كان مسترضعاً فى بنى سعد، فقتلته هذيل ـ **وربا الجاهلية موضوع** ـ أى باطل ـ **وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة** ـ أى يقلبها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم ـ **يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس، اللهم أشهد، اللهم فاشهد ثلاث مرات.**

■ ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئًا(*).

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل جبل المشاة ـ أى مجتمعهم ـ بين يديه واستقبل القبلة.

فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص؛ وأردف أسامة خلفه.

■ ودفع رسول الله ﷺ، وقد شنق للقصواء الزمام ـ اى ضم وضيق ـ حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله. (المورك: الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه، قدام واسطة الرحل، إذا مل من الركوب)

ويقول بيده اليمنى ـ أى يشير بها قائلا: «أيها الناس، السكينة السكينة» كلما أتى جبلاً من الجبال من أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئًا.

■ ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة. =

(*) فصلى الظهر ثم قام فصلى العصر ولم يصل بينهما إلخ: فيه دليل على أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم، وقد أجمعت الأمة عليه، واختلفوا فى سببه، فقيل: بسبب النسك وهو مذهب الإمام أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى، وقال أكثر أصحاب الشافعى: هو بسبب السفر.

وكثير من الناس يسمع حديث رسول الله ﷺ : «من حج لله فلم يرفث[(١)]

= ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً.

فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس وكان رَجُلاً حسن الشعر أبيض وسيماً - أى جميلاً - فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن(*) يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن مُحسِّر، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى[*] التى تخرج على الجمرة الكبرى؛ حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادى(**).

ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم أعطى علياً فنحر ما غبر - ما بقى - وأشركه فى هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها.

ثم ركب رسول الله ﷺ، فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر.

فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا؛ بنى عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم» فناولوه دلواً فشرب منه.

أخرجه مسلم [١٢١٨] (١٤٧)

(١) **الرفث**: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة.

(*) الظعن: جمع ظعينة، وهى البعير الذى عليه امرأة، ثم سميت به المرأة مجازاً لملابسها البعير.

[*] قوله ثم سلك الطريق الوسطى: فيه دليل على أن سلوك هذا الطريق فى الرجوع من عرفات سنة، وهو غير الطريق الذى ذهب به إلى عرفات، وكان قد ذهب إلى عرفات من طريق «ضب» ليخالف الطريق كما كان يفعل فى الخروج إلى العيدين فى مخالفته طريق الذهاب والإياب.

(**) قوله، رمى من بطن الوادى: أى بحيث تكون «منى» و «عرفات» و «المزدلفة» عن يمينه و «مكة» عن يساره.

ولم يفسق[1] خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2].. ذلك أن البعض قد يظن أن الظالم ينقذ نفسه بالحج، ونحن نقول: الحج كى يقبله الله سبحانه لابد..

* أن يكون من قلب خاشع لله.

* ومعترف بالذنوب، والذنوب التى يخرج منها الإنسان بعد الحج كيوم ولدته أمه هى ذنوب متعلقة بالحق سبحانه، أما الذنوب التى ارتكبها الإنسان من ظلم أو غش أو خداع للبشر فلا مفر من رد المظالم إلى أهلها أو استسماحهم قبل الحج وإلا سيحاسب عليها يوم القيامة. إذ أن الإنسان لا يقدر أن يظلم الله، لكن العبد هو الذى يظلم نفسه بالذنب، فإن تاب فإن الله غفور رحيم.

مطلوب الفريضة:

البشر خلق الله.. ضعفاء، فمنهم من يظلم نفسه، ومنهم من يظلم الناس؛ والحج لا ينقذ ظالم الناس من الحساب إنما ينقذه:

١ - أن يرفع ظلمه عن العباد، وأن يطلب من الناس العفو عما ارتكبه فى حقهم من ظلم، وأن يرد لهم حقوقهم.

٢ - أن يرتدع فلا يغش[3]، ويعتذر عما قام به من ظلم وخداع للبشر.

(١) الفسوق فى هذا الموضع: ما عصى الله به فى الإحرام مما نهى عنه فيه، من قتل صيد (البر)، وأخذ (قص) شعر، وقلم ظفر، وما أشبه ذلك مما خص الله به الإحرام، وأمر بالتجنب منه فى خلال الإحرام (شرح السنة: ٧/ ٥)

(٢) أخرجه البخارى [٣/ ٣٠٢] ومسلم [١٣٥٠].

(٣) ففى الحديث عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبْرَة طعام، فأدخل يده =

٣- لابد أن يراعى الله فى ماله الذى يحج به؛ فيجب أن يكون مالاً حلالاً[1]، وليس من غش أو خداع أو بهتان.. أى من عرق الكد والسعى الحلال فى الأرض، لينفذ مطلوب الله فى أداء فريضة الحج إلى بيت الله.

٤- إذا كان الإنسان مديناً فعليه أن يسدد دينه قبل أن يحج، أو يستأذن صاحب الدين، فإذا سمح له فله أن يحج. والإنسان إذا كان له كفيل فى الدين.. أى شاهد وضامن، فعليه أن يستأذن الكفيل قبل أن يحج، لأن هذا الكفيل الضامن سوف يسدد الدين عنه عندما يعجز عن سداده.

= فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يارسول الله قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس؟ من غش فليس منى».
أخرجه مسلم [١٠٢]

الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام.
وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا».

أخرجه مسلم [١٠١]

(١) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل حاجًا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك زادك حرام، ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور.
(رواه الطبرانى فى الأوسط، وأخرجه الأصفهانى مرسلاً مختصراً)
الغَرْز: الركاب من جلود (الذى يضع فيه الراكب قدمه عند ركوب المطية حصان أو حمار).

أولا : الاستطاعة :

ويتبع النية الاستطاعة[1] ، وتتمثل في:

١ - القدرة الصحية:

بمعنى أن يكون الإنسان سليم البدن، لأن عدم القدرة الصحية تُعَدّ من

(١) الاستطاعة.

تحقق الاستطاعة التي هي شرط من شروط وجوب الحج بما يلي:

(أ) **أن يكون المكلف صحيح البدن،** فإن عجز عن الحج لشيخوخة، أو مرض لا يرجى شفاؤه لزمه إحجاج غيره إن كان له مال.

(ب) **أن تكون الطريق آمنة،** بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله، فلو خاف على نفسه من قطاع الطرق، أو من وباء، أو خاف على ماله من أن يسلب منه (يسرق منه) فهو ممن لم يستطع إليه سبيلاً.

وقد اختلف العلماء فيما يؤخذ في أمن الطريق:

- الشافعية وغيره: ذهبوا إلى اعتباره عذراً مسقطاً للحج.
- وعند المالكية: لا يعد عذراً؛ إلا إذا أجحف بصاحبه أو تكرر أخذه.

(جـ) **أن يكون مالكاً للزاد والراحلة** .. أي أن يكفيه مما يصح به بدنه، ويكفي من يعوله كفاية فاضلة عن حوائجه الأصلية؛ من ملبس ومسكن، ووسيلة السفر حتى يؤدي الفريضة ويعود، والمعتبر من الراحلة أن تمكنه من الذهاب والإياب، سواء أكان ذلك عن طريق البر، أو البحر، أو الجو. وإن وجد ما يشترى به الزاد والراحلة وهو ملتزم بسداد دين عليه حالاً قدم سداد الدين مع تأجيل الحج، كذلك من احتاج النكاح وهو يخاف العنت قدم النكاح.

(د) **أن لا يوجد ما يمنع الناس من الذهاب إلى الحج** كالحبس والخوف من سلطان جائر يمنع الناس.

(فقه السنة: ١/ ٥٣١)

الأمور التى تعجزه عن القيام بفرائض الحج مثل: نقص الأعضاء، أو الشلل، أو العجز، وإن كان البعض يقوم بالحج فيستأجر لنفسه من يحمله(١).

٢- القدرة المالية:

أن يكون الإنسان له من المال الحلال ما يكفيه هو ومن يعول، أثناء أداء فريضة الحج، ولديه من المال اللازم للسفر والإقامة. فقد قال الرسول ﷺ: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف»(٢).

والقدرة المالية تعنى المال الزائد عن الحاجات الأصلية التى لا يستغنى عنها

(١) **وقد ينيب العاجز من يحج عنه.**

فعن ابن عباس عن الفضل، أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبى شيخ كبير عليه فريضة الله فى الحج وهو لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيرة، فقال النبى ﷺ: «فحجى عنه».

أخرجه مسلم [١٣٣٥]

■ **المحرم:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتى خرجت حاجة، وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا، قال: «انطلق فحج مع امرأتك».

(متفق عليه)

فشرط حج المرأة أن يكون معها زوجها، أو أحد محارمها فإنه حفيظ لها وتكفى النسوة الثقات.

(التاج الجامع للأصول: ٢/ ١١٠)

(٢) عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله: الدرهم بسبعمائة ضعف».

(أخرجه أحمد والبيهقى)

الإنسان مثل: الملبس، والمأكل، والمسكن، وغيرها. كما لا يجوز الحج لإنسان مدين إلا بعد استئذان الدائن.

كما يأمرنا الحق سبحانه بالتزود.. أي نأخذ معنا الزاد من الطعام، وكان البعض[1] عندما يحجون لا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون.. فإذا ما قدموا إلى مكة سألوا الناس، فأنزل الحق سبحانه الآية الكريمة فقالت:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[2].

ففي هذا القول الكريم إيضاح لهؤلاء الذين خلطوا بين التوكل على الله، وبين التواكل على الغير من البشر.

التوكل هو: تهيئة الأسباب وإعدادها، وتعلق القلب بالله سبحانه وتعالى. أما التواكل فهو: أن يُعَرِّضَ الإنسان نفسه للمهانة، وذل السؤال.

إذن من التقوى أن لا يعرض الإنسان نفسه لذل السؤال، فيقول رسول الله ﷺ: «مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزقة لحم».

الحق سبحانه حين يأمر الإنسان بالتزود، فهذا معناه أن المؤمن عليه أن يذهب إلى الحج خاشعًا لله؛ فلا يذل نفسه إلا لله، ولا يستشرف إلى السؤال عندما ينتهي الزاد فيسأل الناس، فقد لا يكون مع الناس ما يحسنون به إليه.. فماذا يحدث ؟

(١) قال ابن عباس ﷺ: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون.. فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله عز وجل: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾**.

أخرجه البخاري [٣/ ٣٠٣ - ٣٠٤]

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

فالإنسان إذا لم يأخذ معه الزاد، فإنه يكون عرضة لسؤال الآخرين، أو أخذ ماليس له، وهذا يفسد بالقطع التوجه الخالص لله. والزمن الذى يخصصه المؤمن للعبادة فى الحج هو زمن خالص لوجه الله، فإذا لم يتزود فربما يعتدى على زاد غيره، وفى ذلك ما يفسد الحج.

إذن.. الزاد هو مايأخذه المسافر ليتقوى به على السفر، وخير ما يتزود به الإنسان، هو ما يتقى به السؤال.. سؤال الناس لأمور حياته الفانية، وأن يتزود للحياة الباقية .. ومع اتقاء السؤال عدم الوقوع فى الحرج، فخير الزاد التقوى إلى الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾.

والتزود بالتقوى هو حماية للإنسان من جبروت الجبار، فعندما ينبه الله سبحانه عباده أن يتفكروا؛ فهو يريد منهم أن يعملوا العقول ويحكموها فى هذه القضية، وحين يحكم الإنسان عقله فى قضية التزود بالتقوى، فإن حكم العقل يكون التزام بما أمر به الله سبحانه. وحكم العقل فى هذا المجال، هو الذى يثير فى النفس الانتباه واليقظة، فحواس الانتباه عند الإنسان يجب أن تتقد، وتتيقظ، ويقبل على أمر الله بالتفكير بمنتهى الأخلاص العميق.

ونحن نعلم أن الزاد هو: ما يأخذه المسافر ليقوت به نفسه فى السفر، وكانت هذه هى عادة العرب قديماً، فقد كانوا يأخذون معهم طعامهم، لأن المكان الذين سيذهبون إليه ليس فيه من الطعام ما يكفى، فكانوا يأخذون حتى الملح، والخيط، وغيره من ألوان الطعام.. وأيضًا الكفن كانوا يأخذونه معهم احتياطيًا، إذا ما حدث وفاة لأحدهم، فإنه يجد كفنه معه حتى لا يرهق

الآخرين؛ رغم حديث رسول الله ﷺ عندما مات صحابى فوق عرفة فقد قال ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا»(١).

والزمن الآن، اختلف، إذ أصبح الناس الآن يأتون بالكماليات من هناك، فالزائر يأتى من الحج بكل الخيرات، وكأن الحق سبحانه استجاب لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢).

فكانت استجابه الرحمن لخليله إبراهيم عليه السلام، فجاء قوله الحكيم مؤكدًا أن الرزق يأتى إلى بيت الله الحرام من كل مكان، فقال سبحانه:

---

(١) عن ابن عباس أن رجلاً كان مع النبى ﷺ، فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا».

أخرجه البخارى [٤/ ٥٥] ومسلم [١٢٠٦]

- فوقصته: أى أوقعته فكسرت عنقه.
- كفنوه فى ثوبيه: أى يكفن فى ملابس الإحرام وهما الإزار والرداء.
- ولا تخمروا رأسه: أى لا تغطو رأسه بشىء.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

عزيزى القارئ...

هذا لقاء جديد مع فضيلة الداعية الإسلامى الجليل:

الإمام

محمد متولى الشعراوى

تصدره «دار الندوة» ليكون دوريا فى أجزاء وهو

جامع البيان

فى

العبادات والأحكام

إنه كتاب يتضمن توضيحًا للمنهج القويم للمسلم يسير عليه هاديًا فى الحياة الدنيا فيدعو إليه الإمام بالحكمة والموعظة الحسنة، متضمنًا الأوامر والنواهى فى كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ﷺ.

وبمشيئة الله سوف نصدره فى أجزاء فى اليوم الأول والسادس عشر من كل شهر ميلادى، وعندما يكتمل أجزاء كل مجلد يمكنك استبدالها بمجلد كامل حتى تكتمل هذه الموسوعة الإيمانية بإذن الله تعالى.

وسوف تتم عملية الاستبدال عن طريق وكلائنا على مستوى الجمهورية، وسوف نعلن عنهم تباعًا، ذلك إلى جانب مقر إدارة الدار: ٣٣ ش إسماعيل أباظة ـ لاظوغلى ـ ت: ٣٥٥٧٩٧٥ القاهرة ـ ج. م. ع.

و«دار الندوة للنشر» يسعدها أن تتلقى آراءكم وتقييمكم لهذا العمل والذى نخلد به جهد الدعوة إلى الله من الداعية الجليل الإمام محمد متولى الشعراوى.

إنه كتاب جديد ...

* فى منهج التبويب.
* فى عرض وشرح المنهج والحكم الإلهية التى شرعها الله سبحانه ورسوله محمد ﷺ.

إنه كتاب لا غنى عنه لكل مسلم ومسلمة.

الناشر

سعر الجزء

جنيهان ونصف